

اتخاذ الوسائط إساءة ظن بالله:

- الـــذي ظـــنّ أن الـــرب لا يســـمع لـــه، أو لا يستجيب له إلا بواسطة تطلعه على ذلك، أو تسأل ذلك منه؛ فقد ظنّ بالله ظنّ السّوء، فإنه إن ظنّ أنه لا يعلمُ أو لا يسمع إلا بإعلام غيـره لـه وإسماعه، فـذلك نـفي لعلـم الله وسمعه وكمال إدراكه، وكفى بذلك ذنباً، وإن ظـنّ أنـه يسـمعُ ويـرى، ولكـن يحتـاج إلى مـن يُلـيِّنـه ويُعطِّفـه علـيهم؛ فقـد أسـاء الظـنّ بأفضال ربه وبرِّه وإحسانه وسعة جوده.



اتخاذ الوسائط إساءة ظن بالله:

- الملوك محتاجون إلى الوسائط ضرورةً؛ لحاجتهم وعجزهم وضعفهم، وقصور علمهم عن إدراك حوائج المضطرين، فأما من لا يشغله سمع عن سمع، وسبقت رحمته غضبه، وكتب على نفسه الرحمة؛ فما تصنع الوسائط عنده؟ فمن اتخذ واسطةً بينه وبين الله تعالى؛ فقد ظنّ به أقبح الظنّ.



إساءة الظن بالله أعظم الذنوب:

- أعظم الذنوب عند الله إساءة الظنّ به، ولهذا يتوعدهم في كتابه على إساءة الظنّ به أعظم وعيد:

- كما قال الله تعالى: {الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظنّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَساءَتْ مَصِيراً}.

- وقال تعالى عن خليله إبراهيم {أَإِفْكاً آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ فَما ظَنّكُمْ بِرَبِّ الْعالَمِينَ}، أي: فما ظنّكم أن يجازيكم إذا عبدتم معه غيره، وظنّنتم أنه يحتاج في الاطلاع على ضرورات عباده لمن يكون باباً للحوائج إليه ونحو ذلك.

استحالة تشريع الوسائط بين الله وخلقه:

- مستحيلٌ أن يشرعه لعباده، بل ذلك يمتنع في العقول والفطر، واعلم أن الخضوع والتألُّه الذى يجعله العبد لتلك الوسائط قبيحٌ في نفسه -كما قررناه-، لا سيما إذا كان المجعول له ذلك عبداً للملك العظيم الرحيم القريب المجيب، ومملوكاً له، كما قال تعالى :{ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ مِنْ شُرَكاءَ فِي ما رَزَقْناكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَواءٌ تَخافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ}.

- أى: إذا كان أحدكم يأنف أن يكون مملوكه شريكه في رزقه، فكيف تجعلون لي من عبيدى شركاء فيما أنا منفردٌ به، وهو الإلهية التي لا تنبغي لغيرى ولا تصلح لسواي؟ فمن زعم ذلك فما قدرني حق قدري، ولا عظّمني حق تعظيمي، وبالجملة، فما قدر الله حق قدره من عبد معه من ظنّ أنه يوصل إليه، قال تعالى: {يا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُباباً}.



أخنع الأسماء عند الله تعالى:

- ثبت في الصحيحين من أن النبي ﷺ قال: "إن أخنع الأسماء عند الله رجل تسمّى بشاه شاه، ملك الملوك، لا مالك إلا الله"، وقلنا هذا الحديث ثابت في الصحيحين لفظة "شاه شاه" من إدراج سفيان بن عيينة.
- وثبتت بعدة ألفاظ فثبتت: "أخنع" في الصحيحين، وثبتت: "أخنى" في صحيح الإمام البخاري.
- وثبت عند مسلم "أغيظ رجل عند الله رجل تسمى ملك الأملاك".
- وثبت عند الترمذي أن النبي ﷺ قال: "أخنع الأسماء عند الله تعالى يوم القيامة"، فهذا يكون يوم القيامة، وقلنا أن هذه الأسماء مردها إلى المعاني، ونضيف فنقول: هذه المعاني ليست فقط باللغة العربية، وإنما هي في جميع اللغات.

حكم التسمي بأسماء الله تعالى:

- فيمنع شرعاً صيانةً لجناب التوحيد التسمية بالرحمن، والتسمية بالخالق، والتسمية بالبارئ، والتسمية بالمصور.
- أما الأسماء التي لها مسوغٌ وإن أطلقت على الله، ولكن لها مسوغ في حق البشر، فيجوز إطلاقها على البشر، كقولنا: (العزيز)، الله قال "عزيز مصر" وقولنا: (العلي)، فلان علي، صحابي جليل اسمه (علي)، فلا حرج في هذا الاسم، الله قال عن نبيه ﷺ: {بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ}، فإن تسمى رؤوف ورحيم فهذا لا حرج فيه البتة، وكذلك ما يخص الأسماء ومن أبشع وأشنع هذه الأسماء الذي يوازي ملك الملوك، بمعنى ملك الملوك فهو كذلك ممنوع في جميع الأسماء.



من أسباب الشرك والكفر:

- الإمام المقريزي لخص كلام ابن القيم، وحقيقة كلام ابن القيم مهم، ومهم للغاية، وذكره في كتابه (زاد المعاد) في الجزء الثالث من صفحة (205-213)، السبب الذي يوقع الناس في الشرك والكفر وهو عينه السبب الذي جعل بعض أهل البدع يقعون في مقالات شنيعة رديئة سيئة في حق الله، وهو أنهم ما قدروا الله تعالى حق قدره، وهو الظنّ السوء بالله، قال الله في الآيات التي فتحت بها هذا الدرس، {يَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاء اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍۢ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۢ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}.



من أسباب الشرك والكفر:

- قال: {وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ}، وختم الله الآيات بالوعيد والتهديد بنار جهنم.

- السبب أنهم اعتقدوا أن الله لا يعلم كثيرا مما يعملون، وهذا الاعتقاد هو اعتقاد السوء، وكذلك أهل البدع يعتقدون في كافة أبواب التوحيد الشنائع التي عرفت بها بعض الفرق يجمعها ظنّ السوء بالله.



علم الله تعالى يتعلق بالكليات والجزيئات:

- قال: "فإنه من ظنّ أن الله لا يعلم ولا يسمع إلا بإعلام غيره له، وإسماعه فذلك لعلم الله ولسمعه وكمال إدراكه وكفى بذلك ذنبا".
- بعض الفرق تثبت العلم لله، ولكن يثبتون العلم بكليات الأمور دون الجزئيات، فهؤلاء ما قدروا الله حق قدره، وهؤلاء تعلقوا ببعض النصوص، ولكنهم ما فهموها، الله يقول الله تعالى في سورة الأنفال: {ٱلۡـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ}، قالوا: الله يعلم كلياتهم، أما التفاصيل والدقائق، الجلوس والنوم والأكل والمشاهدة، هذا من الجزئيات ما يعلمها الله تعالى، وهذا والعياذ بالله من ظنّ السوء.

علم الله تعالى يتعلق بالكليات والجزئيات:

- معنى الآيه:
- الآن: هذا علم ظهور فعلم الله علم مكنون وعلم ظهور، فلما جرى ما جرى مع أهل بدر، وأهل بدر وما أدراك ما أهل بدر، كان المطلوب من الواحد أن يصبر أمام عشرين في القتال، {وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً}؛ فأوجب الله تعالى صبر الواحد أمام اثنين، إذا اجتمع على المسلم أكثر من اثنين له أن يهرب، أما في أيام بدر ليس كذلك، هذا لا ينفي أن الله لا يعلم الجزئيات، لكن عِلم الله الآن علم ظهور، فظهر الأمر.



الفرق بين إساءة الظن بالله والخوف منه:

- الظنّ بالله شيء وأن تخاف الله شيء آخر، العبد المؤمن يعيش ويموت وهو في أحسن أحواله مع ربه ، وقربه منه وعبادته له، وهو في أردأ أحواله في معاصيه وغفلته يعيش بين الخوف والرجاء، قال تعالى: {مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَة وَذُو عِقَابٍ أَلِيم}، المؤمن كيفما حاله مع الله بين خوف ورجاء.
- في أوقات الشيخوخة، وكبر السن والضعف، وفي أوقات المرض ولا سيما إن كان المرض مخوفا، فينبغي أن يوسِّع حسن ظنّه بالله، وفي الشباب والقوة والشهوة، ينبغي أن يُغلب الخوف من الله، لكنه لا يسيء الظنّ بربه، من عبد الله برجاء فقط زنديق، ومن عبد الله بخوف فقط حروري خارجي، ومن عبد الله برجاء فقط فهذا مرجئ والعبد يعبد الله تعالى بالثلاثة.



آثار اجتماع الخوف والرجاء على معرفة الله تعالى:

- فإذا كان القلب اتسع للرجاء واتسع للمحبة واتسع للخوف، يبدأ الإنسان ويأخذ بمفتاح أنه يعلم قدر نفسه، وأنه يستغفر ربه، وشدة استغفاره لربه كلما ازدادت الطاعات والعبادات، ولذلك أكثر الناس استغفارا من؟ رسول الله ﷺ في مجلس واحد يقول سبعين استغفار، هل جلست في مجلس ترى رجلاً استغفر الله سبعين مرة، في كل مجلس.
- كلما ازداد الإنسان معرفة بربه توسع في حقه أنه عرف قدر ربه، ومعرفة قدر الرب يتفاوت فيه الناس، فمنهم المُعدم وهو: المشرك، ومنهم: القليل وهم أهل البدع والضلالات، ومنهم: من له نصيب ينجيه عند الله وهم العبّاد الذين يترسمون نهج النبي ﷺ.



أكثر مواطن ظن السوء:

- ظن السوء يدخل في كل شيء وأظهر ما يظهر في الممارسات العملية للناس، الممارسات العملية للناس ما يقع الإنسان في شيء يغضب الله ولا سيما الشرك، أو الكبائر، إلا وكان حاله عند التحقيق أنه ظنّ بالله ظنّ السوء.
- وإنكار أن يتم أمر رسوله ويظهره على الدين كله، قال: "وهذا هو ظنّ السَّوء الذي ظنّه المنافقون والمشركون به سبحانه"، {وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَلَعَنَهُمۡ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرا}، وإنما كان هذا ظنّ السوء وظنّ الجاهلية المنسوب إلى أهل الجهل، وظنّ غير الحق لأنه ظنّ ما يليق بأسمائه وصفاته العليا، ظن السوء فيما يخص الأسماء والصفات.



أكثر مواطن ظن السوء:

- الفرق الضالة ما وقعت فيه ما وقعت فيه إلا بعد أن ظنوا بالله ظنّ السوء، لأنه ظن غير ما يليق بأسمائه الحسنى وصفاته العليا وذاته المبرأة من كل عيب وسوء، بخلاف ما يليق بحكمته وحمده وتفرده بالربوبية والألوهية، وما يليق بوعده الصادق، الذي لا يخلفه، وبكلمته التي سبقت لرسله، أنه سبحانه ينصرهم ولا يخذلهم، ولجنده بأنهم هم الغالبون.

من ظن أن الله لا ينصر أهله:

- فمن ظنّ بأنه لا ينصر رسوله، ولا يتم أمره ولا يؤيده، ويؤيد حزبه ويعليهم ويظهرهم على أعدائه، وأنه لا ينصر دينه وكتابه، وأنه يدين الشرك على التوحيد، والباطل على الحق، أي: يجعل الباطل ويجعل الشرك يظهر ويغلب، وأنه يظهر بالباطل على الحق إدانة مستقرة يضمحل معها التوحيد والحق اضمحلالاً لا يقوم بعده أبدا فقد ظنّ بالله ظنّ السوء، {مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ فَلۡيَنظُرۡ هَلۡ يُذۡهِبَنَّ كَيۡدُهُۥ مَا يَغِيظُ}.
- من كان يظنّ أن الله لن ينصر دينه، لن ينصر محمدا ﷺ في الدنيا والآخرة، فليمدد بسبب إلى السماء وليقطع الحبل ليشنق نفسه، هناك لله سنن، وفهم سنن الله جل في علاه أكثر ما تظهر في السيرة، وذكرها الله تعالى في القرآن، لكن السيرة التطبيق العملي لمثل هذه السنن.



من ظن أن الله لا ينصر أهله:

- التضييق على أهل السنة ومحاربة أهل السنة هذه سنة من سنن الله، وهي دالة على ظهورهم وعلى قوتهم وقوة حجتهم، وهذا الصراع لا ينتهي إلى يوم القيامة، قال: "لكن مايليق بكماله وجلاله وصفاته ونعوته فإن حمده، وعزته، وحكمته، وإلهيته تأبى ذلك" تأبى أن يكون ظهور الكفر والشرك على التوحيد ظهورا تاماً كاملاً مستمرا إلى يوم الدين، حكمة الله تأبى ذلك، لا يكون ذلك البتة، قال: "وتأبى أن يذل حزبه وجنده، وأن تكون النصرة المستقرة والظفر الدائم لأعدائه المشركين به، والعادلين به، فمن ظنّ به ذلك فما عرفه"، من ظنّ هذا بالله فما عرفه ولا عرف أسماءه ولا عرف صفاته وكماله، كيف تعرف أن الله عزيز؟ إيش عزيز؟ غالب، غالب الكافرين.

إبطال قياس الله تعالى على الملوك في الوسائط ولوازم ذلك:

- قال: "وهذا بخلاف الملوك فإنهم محتاجون للوسائط" بدأ يفند الشبهة ويركز على أن القياس ليس صحيحاً، وقرر شيئاً مهما، قرّر أن هنالك تلازماً بين اتخاذ الوسائط في عبادة الله، والعجز المنسوب إلى الله، إذا الله أراد أن يتخذ وسائط وأنك لا تدخل عليه في العبادة مباشرة وفي الدعاء مباشرة وفي الصلاة مباشرة غلا بالوسائط، فهذا يلزم إلزاما لا يقبل الانفكاك بأن الله عاجز، سمعه عاجز، علمه عاجز، قدرته عاجزة، رحمته ليست بتامة، فهو يحتاج إلى من يعطفه، ويحتاج إلى من يعلمه، ويحتاج إلى من يخبره.
- فجعل اتخاذ الوساط والعجز بينهما علاقة تلازم، وهذا التلازم لا ينفك، وهذا من الباطل، فإذن أصل اتخاذ الوسائط من أبطل الباطل، الذي هو بوابة كبيرة للدخول في الشرك، أصل اتخاذ الوسائط هذه مع الله في عبادته إنما هي من أبطل الباطل، لأننا لا نستطيع أن ندفع العجز عن ربنا، عن علمه، وعن قدرته وعن رحمته، إلا بأن نقول أن هذه الوسائط كلها باطلة وليست بحقة، ومن فعل ذلك فهذا الاتخاذ هو في حقيقة أمره ظنّ السوء بالله وعدم قدرة الله.



كلمة عن عظمة: "إعلام الموقعين" لابن القيم:

- كتاب مبارك، سمعت الشيخ بكر أبو زيد، وهو من كبار علماء المسلمين قال لي:
- "سمعت الشيخ ابن باز يقول: كتاب الإسلام عندي (إعلام الموقعين)"، فاستعظمت هذه المقولة، وسمعت من شيخنا الألباني في مجالس عديدة يقول :"كتاب الإسلام عندي (فتح الباري) ، ثم قرأتها من قريب في كتاب طبع في الكويت للسخاوي تلميذ ابن حجر، في ترجمة ذاتية له، وجدته يقول: "وفتح الباري هو كتاب الإسلام" هذا من توارد الخواطر، بين السخاوي وبين شيخنا الألباني، لما سمعت الشيخ يقول هذا الكلام ما صبرت، قرأت الكتاب، ثم شرح الله صدري، فقابلته على أربعة أو خمس نسخة خطية، وعملت على تحقيقه، وأوافق الشيخ ابن باز على أن كتاب الإسلام هو (إعلام الموقعين).
- مشكلة علماء أهل السنة على مر الزمان ليست مع الحكام، وهم أبعد الناس عن القلاقل والفتن، وأبعد الناس عن التكفير، مشكلتهم مع المشايخ والعلماء.

كلمة عن عظمة: "إعلام الموقعين" لابن القيم:

- قامت القيامة على فتوى شيخ الإسلام لأنه عمل جاهدا على هدم مصانع التحليل ، إيش مصانع التحليل؟:

- كانت فتاوى المشايخ في زمنه بينها وبين قيام مصانع التحليل لزوم، المصانع التي تحلل الزوجة لزوجها، بسبب اختيار أقوال شديدة في مسائل الطلاق، فكانوا مباشرة في مسائل كثيرة يقولون طالق بائن بينونة كبرى، وعندها أولاد لا تصلح حياتها إلا مع زوجها، فقامت مصانع التحليل، المصانع التي تحلل المرأة لزوجها.

- الإمام ابن القيم في كتابه (إعلام الموقعين) طوّل كثيراً في مسائل الطلاق وفي هدم مصانع التحليل، وهذا الآن لا يلزمنا، نحن الآن المثقفون بعامة، وطلبة العلم بخاصة لا يلزمنا ذلك تدرون لم ؟ لأن المحاكم الشرعية في جميع أنحاء الدنيا في جميع البلاد تركت مذاهب الأئمة الأربعة، وأخذوا بمذهب شيخ الإسلام ابن تيمية في الطلاق، الذين يفتون لزوم المذهب، في الطلاق لا يلزم، كل المذاهب أخذوا بمذهب شيخ الإسلام في مسائل الطلاق، وبأخذهم -جزاهم ربي خيرا- بمذهب شيخ الإسلام هدمت مصانع التحليل. فالكتاب مما يضاهي به العلوم الإنسانية بكافة أنواعها، كتاب قائم على محاسن الشريعة.

تفسير:"لَنْ يَخْلُقُوا ذُبابا":

- قال الله تعالى:{يا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبابا}"، الخطاب للناس كلهم ليس لأهل التوحيد، هذا المثل فيه هدم للشرك بأنواعه، ونصرة للتوحيد، ما قال الله فاسمعوا له قال: "فاستمعوا له"، علماء البيان يذكرون قاعدة جميلة تفيدك في عشرات النصوص ولا سيما في القرآن، قالوا:

- "الزيادة في المبنى تدل على الزيادة في المعنى" اسطاعوا، واستطاعوا، لماذا قال اسطاعوا واستطاعوا؟ استطاعوا فيها زيادة في المبنى فتدل على الزيادة في المعنى، افحص كل الكلمات في القرآن،كلمة فيها زيادة فيها زيادة معنى، {وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ}، قال "واصطبر" زيادة في الصبر، الفرق الزيادة في المبنى تدل على إيش؟ على الزيادة في المعنى، قال: "فاستمعوا له" استمعوا وانتبهوا، اسمع واصغي وتدبر هذا المثل تدبراً شديدا.



تفسير:"لَنْ يَخْلُقُوا ذُبابا":

- قال: {ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلوب}:

- التوجه للعبادة لغير الله، لن يخلقوا ذبابا -المعبودون- أياً كان هل يخلقوا ذبابة؟! هم لا يستطيعون أن يخلقوا ذبابا سواء كانوا مجتمعين أو كانوا منفردين، لو كل المعبودين اجتمعوا جميعا من أول عبادة وقعت فيها شرك إلى آخر عبادة يقع فيها الشرك في صعيد واحد لا يستطيعون أن يخلقوا ذباباً، {وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ}، ضعف الداعي والمدعو، فهم عجزة عن أن يخلقوا ذبابة، فإذن العبادة تصرف للعاجز هذا قبيح، العبادة تصرف إلى الكامل، ولا تصرف للعاجز، لا يستحقون العبادة، قال الله بعدها: {مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ}.

تفسير:"لَنْ يَخْلُقُوا ذُبابا":

- كلام ابن القيم في الإعلام لا استطيع أن أتجاوزه، يقول -رحمه الله- في المجلد الثاني صفحة (312) بالطبعة التي يسر الله لي أن حققتها، يقول:
- "حقيق على كل عبد أن يستمع قلبه لهذا المثل، ويتدبره حق تدبره فإنه يقطع موارد الشرك من قبله إذا تأملت هذا المثل قطعت موارد الشرك عن قلبك أبدا، -جدير هذه الآية أن تتأملها-، وذلك أن المعبود أقل درجته أن يقدر على إيجاد ما ينفع عابده، وإعدام ما يضره، والآلهة التي التي يعبدها المشركون من دون الله لن تقدر على خلق الذباب ولو اجتمعوا كلهم لخلقه، فكيف بما هو أكبر منه؟
- من العجيب وهذا الكلام يدرج اليوم فيما يسمى بالإعجاز العلمي، الذباب ليس له معدة، الإنسان لما يأكل يبقى شيء من الأكل في المعدة، ثم بعد المعدة ممكن أن تستنقذ الشيء من المعدة، الآية تتضمن الإعجاز العلمي.

تفسير: "لَنْ يَخْلُقُوا ذُبابا":

- كلام ابن القيم في الإعلام لا استطيع أن أتجاوزه، يقول -رحمه الله- في المجلد الثاني صفحة (312) بالطبعة التي يسر الله لي أن حققتها، يقول:
- "حقيق على كل عبد أن يستمع قلبه لهذا المثل، ويتدبره حق تدبره فإنه يقطع موارد الشرك من قبله إذا تأملت هذا المثل قطعت موارد الشرك عن قلبك أبدا، -جدير هذه الآية أن تتأملها-، وذلك أن المعبود أقل درجته أن يقدر على إيجاد ما ينفع عابده، وإعدام ما يضره، والآلهة التي يعبدها المشركون من دون الله لن تقدر على خلق الذباب ولو اجتمعوا كلهم لخلقه، فكيف بما هو أكبر منه؟
- من العجيب وهذا الكلام يدرج اليوم فيما يسمى بالإعجاز العلمي، الذباب ليس له معدة، الإنسان لما يأكل يبقى شيء من الأكل في المعدة، ثم بعد المعدة ممكن أن تستنقذ الشيء من المعدة، الآية تتضمن الإعجاز العلمي.

تفسير: "لَنْ يَخْلُقُوا ذُبابا":

- فقال: "ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ":

- قيل: الطالب: العابد، والمطلوب:المعبود، فهو عاجز متعلق بعاجز"، الذي يصرف العبودية لغير الله عاجز يتعلق بعاجز.
- قيل: "هو تسوية بين السالب والمسلوب، وهو تسوية بين الإله والذباب في الضعف والعجز وعلى هذا قيل الطالب: الإله الباطل، والمطلوب: الذباب، يُطلب منه ما استلبه منه.
- وقيل: "الطالب: الذباب، والمطلوب: الإله، فالذباب يطلب منه ما يأخذه مما عليه.
- والصحيح "أن اللفظ يتناول الجميع، فضعف العابد والمعبود، والمستلِب والمستلَب، فمن جعل هذا إلها مع القوي العزيز، فما قدره حق قدره، ولا عرفه حق معرفته، ولا عظمه حق تعظيمه" هذا معنى ضعف الطالب والمطلوب، فما قدر القوي العزيز حق قدره من أشرك معه الضعيف الذليل".

أصل ضلال من ضل عن الحق:

- وجدت أصل ضلالهم راجعا إلى شيئين:

- ظنّهم بالله ظنّ السوء" أي: أن تظنّ بالله تعالى خلاف ما يليق به .
- الثاني: أنهم لم يقدروا الرب حق قدره".
- في الحقيقة عند التحقيق أن الأول سبب، والثاني نتيجة، وليست سببا؛ فالنتيجة مترتبة على ظنّ السوء أنه ما قدروه حق قدره، والشيء الثاني هو نتيجة وليست سببا، "والثاني: أنهم لم يقدروا الرب حق قدره، فلم يقدروه حق قدره من ظنّ أنه لم يرسل رسولا، ولا أنزل كتاباً، ترك الخلق سدى وخلقهم عبثا".

- من ظن أن نعم الله إنما هي في المتع، والشهوات، والطعام والشراب، والنكاح هذا دابة من الدواب، أعظم نعمة لله للخلق أن الله سبحانه أذن لهم أن يعرفوه، وأن يتقربوا إليه، وعرفهم بما يحب ويرضاه، لو أن عقول الخلق اجتمعت في صعيد واحد ليعرفوا ماذا يحب هذا الإله؟ فلا يستطيعون، لا يعرفون ذلك إلا من خلال النبوة، إلا من خلال إرسال الرسل الذين أرسلهم الله تعالى، العبادة لا تقبل عند الله إلا بالإخلاص والاتباع.

أصل ضلال من ضل عن الحق:

- قوله تعالى: {وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖ}:

- فإنكار الرسل والقدح بالرسالة، وأن الله ما أنزل على أحد من البشر شيئا هذا كما قال الله : {وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ}، والله لم يترك هذه الشبهة فردها بقوله سبحانه:{ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورا وَهُدى}.
- أنتم تعرفون واليهود موجودون وتقولون أن اليهود أصحاب ديانة، فلماذا أنكرتم رسالة النبي محمد ﷺ لما جاء بالرسالة، فالله ردّ عليهم بقوله {وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ}، أنتم تؤمنون بموسى، من الذي أنزل الكتاب لموسى ؟! هكذا أصحاب الهوى لا يلتزمون أصلا واحدا، قال: "فلم يقدره حق قدره من ظنّ أنه لم يرسل رسولا"، الناس بحاجة للرسل ولماذا بعث الله الرسل؟ "وبعث الله النبيين إليه داعين وبه معرفين، ولمن أجابهم مبشرين، ولمن خالفهم منذرين".



أصل الشبهة تقديم العقل على النقل:

- في (زاد المعاد)، أتى على جميع الشنائع الموجودة عند أهل الفرق، تذكرون الإحالة على (الصواعق المرسلة)، جعل كل هذه الشبه والشنائع وردها إلى أصل مهم، وهذا هو الأصل المهم:

- "ترك المنقول والعمل بالمعقول"؛ فالخلق ما لم يستجيبوا وتطمئن قلوبهم، وعقولهم، وتنفسح وتنشرح بما قال الله وقال رسول الله ﷺ تبقى فيها أشياء من البدع.
- سبب تسمية أبي بكر بالصديق، النبي ﷺ أخبرهم أن الله أسرى به إلى الأقصى، وصعد ورجع في ليلة واحدة، هذا شيء يخالف العقل، والله الآن مع وسائل التواصل الموجودة اليوم، أو مع وسائل التنقل والقمر الصناعي، الله أعلم يكون هذا أو ما يكون، قد يكون للأقصى لكن السماوات السبع الله أعلم، لكن هذا خبر ثبت في كتاب الله، وما ثبت في كتاب الله الصدر ينشرح له.
- مشكلة المسلمين اليوم أن دينهم دين فكر، ليس دين وحي، ومن عمق هذا النوع من الدين، أهل الأحزاب، لأنهم يردون الدين بعقولهم، {فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ}، استمسك بالوحي، الدين دين وحي.

عموم قدرته تعالى وتعلقها بأفعال العباد:

- قال: "ولا قدر حق قدره من نفى عموم قدرته، وتعلقها بأفعال العباد، من طاعتهم ومعاصيهم وأخرجها عن خلقه وقدرته".

- هؤلاء الذين سميناهم فى الأول ولم يفرقوا بين مشيئة الله الشرعية ومشيئة الله القدرية، وهؤلاء انحرفوا انحرافات كثيرة، وما زالت هذه الانحرافات لها آثار، وإن كان القائلون بها لا يعلمون الأصول المبنية عليها، هؤلاء الجبرية الذين قالوا: "أنه يعاقب عبده على ما لم يفعل"، بل يعاقبه على فعله هو.
- قالوا: العبد مسكين ليس له شئ، ليس له إرادة، فكيف للإنسان أن تقطع يده، إذا كان هذه السرقة فعل الله وليس فعله هو.
- وقالوا: فعله وفعل العبد مثل آثار الشجرة ، أغصان الشجرة تتحرك لكن من الذي يحركهاالريح.
- قالوا: أفعاله ليس له فيها كسب، كيف نقول "لها ما كسبت ولها ما اكتسبت"؟ فأهل الحق وسط بين القدرية وبين الجبرية، فالعبد له إرادة، ويختار ويفعل، وإرادة الله فوق إرادته، فمن قال: أن ليس له إرادة مخطئ ومبتدع، ومن قال: أن العبد إن فعل الشر هو الذي يفعله، والله ليس له به صلة، وهو الذي يخلقه والله ليس بخالق الشر، فهؤلاء ضُلاّل.

الله أعلم بنفسه أوصافاً وكمالات:

- الله أدرى بنفسه سبحانه، {ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرا}، فالله خبير بنفسه.
- ثم قال المصنف: " ولا قدره حق قدره من جعل له صاحبة وولدا":

- الذي يحتاج لزوجة أنا وأنت، من تغلبنا شهوتنا نحتاج للصاحب والولد، سنموت، فالولد يحفظ الإنسان، فالإنسان يحتاج لولد، الولد يحفظ النسل، الله جل في علاه هل يحتاج للولد؟ معاذ الله! {وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَة وَلَا وَلَدا}، ما معنى جد؟ العظمة.
- الصحابة كانوا يقولون: إذا حفظ الرجل البقرة وآل عمران جدّ في أعيننا، أي: عظم في أعيننا، الذي يقول اتخذ صاحبة وولدا ما قدره الله حق قدره، ما عظموا الله حق تعظيمه.
- لذا لما تقرأ دعاء الاستفتاح: "سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك" أي: تعالت عظمتك.

اعتقاد الرافضة في الصحابة من إساءة الظن بالله:

- قال: "ولا قدره حق قدره من قال: إنه رفع أعداء رسوله وأهل بيته، وجعل فيهم الملك ووضع أولياء رسوله وأهل بيته وهذا يتضمن غاية القدح في الرب، تعالى الله عن قول الرافضة":

- الرافضة الذين يطعنون في أصحاب رسول الله ﷺ ، هؤلاء ما قدروا الله حق قدره، كما قال ابن مسعود : "اختار الله محمدا ﷺ واختار له أصحابه"؛ فالطعن في الصحابة هو قدح في الله لماذا ؟ من الذي اختار لمحمد أصحابه؟ الله.
- من الذي قدر أن يكون أبا بكر وعمر إلى يوم الدين بجانب رسول الله ﷺ، ؟الله.
- الله يحب نبيه، فيجعل أبغض الخلق جيراناً له إلى يوم الدين!!، لا يقول هذا إلا من لا يعرف الله حق قدره.
- الذين يطعنون في أصحاب رسول الله ﷺ، ويزعمون أن الله أذل أهل بيته، هؤلاء لا يعرفون الله حق قدره، ولا يخفى عليكم ما كررناه مرات ومرات، أن الصحابة والقرابة كل منهما معظم للآخر، وليسوا أعداءً.

اعتقاد الرافضة في الصحابة من إساءة الظن بالله:

- قال: "وهذا مشتق من قول اليهود والنصارى في قول رب العالمين":

- سر طاغوت اليهود إيمانهم بإله ظالم محابي، اختارهم وخصهم وخلق الخلق كلهم من أجلهم، وجعلهم أجلكم الله تعالى حميراً، ليركبها اليهود، إلا الشابات الحسنوات فهؤلاء خلقن لليهود ليتمتعوا بهن، وبعد ذلك الناس كلهم مخلوقون من أجل اليهود، هذا معتقد اليهود في الإله.

- قال: " أنه أرسل ملكا ظالما وادعى النبوة، وكذب على الله، ومكث زمناً طويلاً يقول:أمرني بكذا ونهاني عن كذا، ويستبيح دماء أنبياء الله وأحبابه، والرب تعالى يظهره ويؤيده"،

- هذا ينافي نعمة الله، من حكم الله التي لا تتخلف أن الكذاب إن وجد له قبول فهو يسير وقليل، يغر المخدوعين الظانين بالله ظن سوء، وأما في المآل؛ فكما قال الله : {وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ}، وقال :{وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ}.

- أما أن يكون رجلاً مبطلاً، ظالم الله يرفعه! ، كما زعم الروافض أن كل الدول: الأموية، العباسية كلهم أعداء لأهل البيت، هذا خلاف حكمة الله، الباطل يَرُوج لحكمة لله، ولكن مآله البطلان والفضيحة، أما أن يستمر الباطل يستحيل.



من أنكر البعث أساء الظن بالله:

- قال: "ولا قدره حق قدره من زعم أنه لا يحي الموتى":

- فهذا القول "بأن الله لا يحي الموتى" يلزم أن الله خلق الخلق عبثا، مع أن قضية البعث في كتاب الله تعالى لها مساحة واسعة جدا، قال الله : {لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي يَخۡتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰذِبِينَ}، فمن زعم أن الله لا يبعث الخلق ليحقق العدل فيهم، هذا ما عرف الله حق قدره.
- ابن قتيبة يسند: "أن رجلاً أعرابياً شهد أن رجلا ظلم آخر، فمات المظلوم قبل أن يظهر حقه، وقبل أن يحقق العدل، فلما رأى المظلوم قد مات قال: أشهد -هكذا فطرة سليمة- أن البعث حق" هذا مات مظلوماً وما أخذ حقه أين سيأخذه؟ ومن الذي يعطيه إياه؟ فإذا ذهب الظلم هكذا ولم يؤمن بالبعث والخلق هذا ما قدر الله حق قدره.